لمع من أخبار الفرزدق وأشعاره
من خلال كتاب *أنساب الأشراف* للبلاذري

دراسة وتحقيق: خليل عثامنة (٢٠٠٧)، تقديم: لطفي منصور
مركز دراسات الأدب العربي، بيت بيرل

لقد حظيت أشعار الفرزدق بدراسات عديدة منها ما قدمه الباحثون العرب على اختلاف أقطارهم ومناحيهم الأدبية، ومنها ما قدمته حركة الاستشراف في هذا المضمار (نذكر على سبيل المثال شوقي ضيف من الباحثين العرب، وكارل بروكلمان من المستشرقين)، ناهيك الدراسات التي تناولت نقائض جرير والفرزدق وأحيانا الأخطل.

ومما يلفت النظر أن هذه الدراسات كانت متشابهة من حيث التأليف، نعني تناول المؤلفين أشعار الفرزدق المختلفة الأبواب، من فخر وهجاء ومدح وغير ذلك من أبواب الشعر العربي، فضلا عن مقدمات قصيرة تصدرت ديوان الفرزدق في طبعات مختلفة، ولا نغفل كتب تاريخ الأدب العربي التي تناولت فصولا مستقلة حول الشاعر، ليس قصرا على أشعاره، وإنما حول نقائضه مع جرير والأخطل أحيانا، إذا أخذنا بعين الاعتبار الشعر السياسي في الإسلام.

وللكتاب مقدمتان: الأولى للبروفيسور لطفي منصور، والثانية بقلم المؤلف، وقد اشتملت على نبذة جديدة من حياة الفرزدق ووصف المخطوطة، بالإضافة إلى مسالة نحل الشعر لديه وفق غالبية الدراسات الاستشراقية والنقدية القديمة التي أشارت إلى ضم الشاعر العديد من القصائد لنفسه.

ظاهرة أخرى تناولها المؤلف قبل النص المحقق نقائضه مع جرير الذي يعتبر خصمه الألد، والمهاجاة فيما بعد بين عشربتي الشاعرين، أعني بني مجاشع وبني يربوع، رغم علاقة المودة بين الاثنين، أي تقديم المساعدة المتبادلة في ظروف صعبة. و يسهب عثامنة من جانب آخر بسرد

الكرمل – أبحاث في اللغة والأدب، العدد ٢٨ (٢٠٠٧)، ص ٢٢٥–٢٢٧

تفاصيل حول هويته السياسية، حين مدح الأمويين من جهة وتشيع لآل البيت من جهة أخرى، حسب زعم الكثيرين. إذ أن قصيدته في مدح زين العابدين اختلفت الروايات حولها، حتى قيل إنها نسبت إليه، ويذكر عثامنة أن ولاء بعض أفراد أسرته لعلي لا يثبت موقف قبيلته سياسيا.

أما بالنسبة لإسلامه، فيشير عثامنة إلى الروايات التي رمت الفرزدق بالسلوكيات الشاذة، لكن هناك محطات ايجابية في حياته، نخص بالذكر قصيدته المشهورة في هجاء إبليس، ومعاهدته الله أن يترك الهجاء. ويختتم الباحث هذا التقديم بالوقوف على الأهمية التاريخية لشعر الفرزدق، الذي ضم الكثير من الأخبار التاريخية والصراعات السياسية والقبلية في مدينة البصرة.

في الجزء الثاني من الكتاب، نجد نص المخطوطة المحقق تحت عنوان "نصوص مخطوطة الأسباب" من كتاب البلاذري (مخطوطة المكتبة السليمانية في استانبول). وقد اشتمل النص على اسمه ونسبه وقوله للشعر، بالإضافة إلى جملة من الأخبار التي ترتبط بسلوكه وعلاقته العائلية، فضلا عن علاقته مع النساء والجواري، وكذلك مجموعة من النوادر والطرائف المشهورة في حياته نثرا وشعرا. فكما قي:"لولا الفرزدق لضاع نصف أخبار الناس"، و "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب".

ويختتم عثامنة كتابه بفهرست مفصل للأسماء والأشعار.

وما يلفت النظر في هذا الكتاب الجديد ما يلي ذكره:

١- رغم كثرة الدراسات التي تناولت حياة وشعر الفرزدق ثمة معلومات جديدة في هذا الميدان تستند إلى رؤية وتحليل عميقين، خاصة بالنسبة لعلاقته بجرير وهويته السياسية، وكذلك بعض الأضواء الجديدة التي تخللتها حياته.

٢- الملاحظات الهامشية في الكتاب، ليست قصرا على ترجمة بعض الأسماء أو تعريفا للاماكن الواردة في المخطوطة وإنما مقارنة النص بمؤلفات أخرى قديمة منها الأدبية والتاريخية واللغوية.

٣- يحاول المؤلف بين الفينة والأخرى عدم التسليم بواقعية المواد والدراسات القديمة والجديدة التي تناولت سيرة الفرزدق الأدبية، لذا نجده في عدة أماكن من الكتاب يشير إلى الدراسات ويناقشها نقاشا علميا، ويدعم رأيه بسرد روايات أخرى تدحض الفكرة، وفي بعض الأحيان تؤيدها من زاوية جديدة، فحقا هذا عمل جاد بحد ذاته.

غالب عنابسة